

1436هـ - 2015 م

4

اقلوا عليهم...

حبل الله كيف نفهمه؟

الجزء الثالث

للشيخ

عمر محمود أبو قتادة

مجموعة نخبة الفكر

اقلوا عليهم [٤] ....

" المراجع الشرعيّة لجماعات المجاهدين "

حبل الله تعالى .. كيف نفهمه «٣»

للشيخ/ عمر محمود أبو قتادة (حفظه الله)

نُخْبَةُ الْفِكْرْ

رجب ١٤٣٦ هـ – مايو ٢٠١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين...

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وما زلنا مع «حبل الله تعالى .. كيف نفهمه» ...

هناك حديثٌ يدور عند موضوع اتحاد الجماعات والتنظيمات يتعلق بالمرجعية الشرعية لعمل هذه التنظيمات في جهادها، وهذا السؤال والحديث لم يكن يدور والناس مع الجهاد في خصومة، مع واقع الجهاد وطرحه عملاً لا بديل عنه في التغيير والإصلاح وإسقاط أنظمة الردّة، والسبب أن أعلام الجهاد ورجاله وعلماءه في وضوح وبيان والانفصال عن غيرهم، حيث يدافعون عنه، ويؤصلون مسائله ويشتهرون به، حتى إذا صار الجهاد عمل الأُمَّة ضد طواغيتها انقلب عدو هذا النوع من الجهاد رجلاً من رجالاته، وداعياً إليه بكلامه وفعاله، وهذا لا يُنكَر البتّة، ولكن من العدل والإنصاف أن يعترف هؤلاء أن مقالاتهم في الجهاد عينه الذي يدعمونه وينصرونه اليوم هو عين الجهاد الذي ذمّوه واتهموا أهله بالغلط أو الغلو أو الفساد، والحق أنا أعجب من هؤلاء كيف صاروا اليوم من دعاة الجهاد حيث ذموه سابقاً بكونه سبب شرٍ وفساد، وذلك تحت ضغط مقولاتهم في موازنة مفاسد الجهاد مع حسناته ومصالحه، واليوم نحن نرى أن هذا الجهاد الذي يدعمونه يحقق ما قالوه سابقاً في الجهاد الذي عادوه، ولو حاول المرء أن يفهم سر تغيرهم وتبدلهم لعلم أن هذا النوع من المشايخ هم أسرى الواقع ونظام القطيع، فحيث نفر الكثير للجهاد، وحيث ظنوا أن هذا الجهاد سيجني ثماره بسرعة ذهبوا إليه ودعموه وجعلوه شرعياً، ولَمّا حصل التورط والانغماس فيه منعوا غيرهم من نقدهم فيما وقعوا فيه وهم كانوا بمرتبة الناقدين من قبل.

من الدين والصدق مع الله أن يعلن هؤلاء توبتهم مما قالوه في المجاهدين من قبل، وهذا يُبرّئ الدين من غلطهم الذي قالوه في المجاهدين، ويجعل لهم قدم الصدق في القول والمقام، ثم هو يمنع من الهروب المتوقّع ما لو طال أمر هذا الجهاد فيعودوا لسابق عهدهم من قصف الجهاد وأهله؛ إن عاد المجاهدون إلى كونهم «نخبة» يحيون الجهاد ويتحمّلون

تبعاته، وهذا لا يُستبعد منهم لسابق فعلهم هذا من قبل، فقد رأينا شخوصهم في هذه المقامات مع هذا التصرف، وهم، هم بأسمائهم دون تبديل؛ إذ أنهم يقبلون حين ظن الغنيمة فإن تولت أو بدت ملامح الذهاب قفزوا من السفينة، حتى لا يتحملوا تبعات التهمة لأن الهزيمة لا أبَ لها، كما يقولون.

وكما تَقَدَّم القول في مسألة الدعم والتمويل، يقال هنا لارتباط الأمر به، فإن الكثير من المشايخ لهم ارتباطاتهم بدولٍ هم يعدونها من أهل الخير، ويعيشون في كنفها، وهؤلاء المشايخ خيارات هذه الدول في التعامل مع بعض حَسَني النية في هذا الباب، والدول عادةً تفتح دكاكين تستوعب الكل، فهناك من يتعامل مع أمريكا والدول الغربية مباشرةً، وأنا أعلم شيخاً يُنسَب من البعض للجهاد والمجاهدين وهو لا يأنف أبداً من الجلوس مع الدوائر الاستخباراتية لدول الغرب من أجل أن يعلن لهم استعداده وهمّته في الإخبار عن أي أحدٍ من أعدائهم يريد عملاً ما ضد هذه الدول الغربية المعادية للدين والإسلام وبلاد المسلمين، وهذا الشيخ أعلن هذا أمام أعدادٍ من الناس، وهذه الدولة كافأته باعطائه الجنسية عن طريق البريد، في وقتٍ هي لا تعطيها لمن طلبها بالطرق المعروفة عندهم إلا بشق الأنفس، فمثل هؤلاء الشيوخ أمرهم قريب بالنسبة إلى الدكان الذي فتح من أجلهم، فهم يسقطون في الباب الأول، وهناك من الشيوخ من يستحي من الذهاب لهذا الدكان مباشرةً فيفتحون لهم باباً أبعد عن هذا الباب وهو الذهاب للدول الإسلامية كما يسمونها فهناك يتم القبض والترتيب والانتساب، وهناك من لا يقبل هذا الباب فيذهب لأبعد من هذا الدكان فيرسلون له شيخاً مثله، هو في المنظر شيخ وفي الإهاب والجلد رجل أمنٍ بامتياز، وعلى كلٍ فلكُلٍ دكانُه الذي يستوعبه، وكما قال يوماً وزير الثقافة المصري عن المثقفين: "أدخلناهم جميعاً الحظيرة"، فيقال ها هنا: كل هؤلاء الشيوخ دخلوا هذه «الحظيرة»، ولكن لكُلٍ بابُه ودكانُه الذي يلائمه، وهي كلمةٌ قالها يوماً رجل أمن: "الكل يقبض؛ بعضهم من تحت الطاولة والبعض من فوقها."

السؤال ها هنا عَمَلَيٌّ لا نظري: أين هؤلاء من قائمة «المرجعيّة» لهذه الجماعات الجهادية إن حصل الاتحاد؟ وما هو موقف الناس إن كانت هذه التنظيمات لها تاريخٌ جهادي مع هذه الأنظمة؟

في أزمة الخليج بعد أن اجتاح صَدّام الكويت أخرجت بعض التنظيمات بياناً داخلياً دعت فيه أفرعها إلى التناغم مع موقف بلادها من تلك الأزمة، ذلك لأن هذه البلاد قد انقسمت مواقفها، وحتى لا يقع الصِدام معها كان هذا

الموقف، ومن رأى اليوم هذا الجهد المبذول لحل ارتباط بعض التنظيمات مع أصولها ومراجعها التنظيمية والعلمية من أجل الوحدة يعلم أن وراء هذه الدعوات مقاصد أخرى تتعلق بالذهاب بعيداً عن مصلحة الجهاد والوحدة، وإن المقصد هو إدخال الجميع في «الحظيرة» عن طريق هؤلاء الشيوخ، وتحت باب الوحدة لتحقيق مقاصد الجهاد وتسريع درجات العمل للوصول الى النصر.

هل هذا تخوّف وظن أَم أن له من الواقع الشواهد الكثيرة التي تشهد له؟

للخروج من أزمة الثقة والظن فليوضع في الميثاق الذي يريده الناس حبلاً يوصلهم لرضى الله هذه القضايا وبالتفصيل الممل، لأن الشيطان يكمن في التفاصيل.

يتساءل البعض عن المرجعيّة، وقد تَقَدَّم تخوّف الناس من الراكبين جديداً لركب الجهاد، وأن حالهم لا يدعو للاطمئنان، وللناس الحق في هذا التخوّف، والكلمات الجميلة لا تُذهب روائح النتن ولا تغسل الوسخ البادي للعيان، في المقابل هناك دعوةٌ مهمة وهي من ضروريات المرحلة فيها وجوب فتح أبواب الجهاد لعموم أهل الإسلام، وخاصّةً العلماء منهم دون تثريبٍ على مواقفهم السابقة من السكوت، والذي كان سببه عندهم متعدد الأوجه؛ فبعضهم خوفاً، وبعضهم لعدم وضوح السبيل، وبعضهم لحمله مناهج أخرى غير سبيل الجهاد، وهم مع ذلك اليوم أهل دينٍ وعلمٍ وجهادٍ وسَبقٍ وبلاء، ثم إن الجهاد اليوم قد صار إرث أُمَّةٍ لا جماعة، وعمل شعوبٍ مسلمةٍ لا تنظيماً، فمثل هذه الحالة تطلب فتح باب قيادة العلماء مهما كان موقفهم الفقهي وانتسابهم للمدارس العلمية أو المشيخية، لأن هذا هو دين الله تعالى.

كل مسلمٍ يعلم دين الله تعالى يؤمن أن الأُمَّة لا قيامَ لها في حال إلا بالعلماء، ولا صلاحَ لها إلا بصلاح العلماء، بل لا تكوينَ لمفهوم الأُمَّة إلا بهم، الذين هم عِمادها بلا ترددٍ ولا شك، وحين يستقر هذا المفهوم في النفس فإن الواجب على من فقهه أن يجعل العلماء، كل العلماء من المسلمين هم من مرجعيات الجهاد حين الاتحاد والوحدة بلا استثناءٍ ولا إقصاء، فكل من ظهر صلاح مقصده وأُمِنَ شرُّه المتَقَدّم ذكره فقط يُرجَع إليه في النوازل والملمات الفقهية والعلمية.

الجهاد في الإسلام صبغته إسلامية جامعة، والمدارس الفقهية لا وجود لها في باب الجهاد، لأن هذه المدارس داخل الصف الإسلامي ولا علاقة لها بجهاد المرتدين والزنادقة، ولذلك فلا يقتصر في باب المرجعية للجهاد مدرسةٌ فقهيةٌ دونَ أخرى بل هو الإسلام السُنّي مقابل الزنادقة والمرتدين، ولذلك قول البعض أن هذه جماعةٌ سلفية مقابل جماعةٍ حنفية أو شافعية أو أشعرية تقسيمٌ للجهاد وإفسادٌ لحبل الله الذي أمرنا الله تعالى بالاجتماع عليه، ومما يؤسف له أن البعض يرسل حبله طويلاً مبتدءاً من المدرسة الفقهية كما يزعم ليصلها بنظامٍ يرتبط بهذه المدرسة أو تلك، وهي طريقةٌ تَقَدَّمَ ذكرها من فتح الدكاكين، حيث أن البعض من المغفلين ممن تغرهم شعارات المدارس الفقهية دون النظر لحقيقتها فيوالي على هذا الشعار دون غيره، وهي حبلٌ يصحُّ فيها قول الله تعالى عن إبليس: {فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ}؛ فحبله يصلح لهذه الألعاب، وبه يُدلَّى الفاسد والجاهل والغبي إلى حفرة الشر والفساد والنار.

لا يوجد شيءٌ جديدٌ في هذا الباب يصحُّ الاجتهاد فيه، فكل علماء الإسلام هم مرجعية المسلم في دعوته وعبادته وجهاده، يقدم فيها المسلم من ظن أنه الأقرب للحق، والأفضل في الدين والتقوى ومعرفة الصواب، وبهذا يبتعد المسلم عن منهج اليهودية الفاسد كما قال الله تعالى عنهم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ}، وهو مع ذلك لا يعمل بما حكم عليه العلماء بالزندقة في قولهم: "من أخذ بزلة كل عالم تَجَمَّعَ فيه الشر كله"، وفي قول بعضهم: "فقد تزندق"؛ فهو وسطٌ في هذا، يتذكر وهو يسأل ويتبع أن هذا جهادٌ ففي سبيل الله تعالى، وأن المقصود به عبادة الله تعالى ، والله لا يصلح عمل المفسدين كما قال سبحانه، وليتذكر أن هذا العمل قبوله ورده إنما مردّه إلى الإخلاص والصواب، ويضاده قوله تعالى: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ}؛ ولذلك كل التصنيفات التي يلمز الناس بعضهم بها في باب الجهاد هي ضلالٌ ومفسدة، وإنما يُحكَمُ على المرء بما يعلم من دينه وتحريه للحق.

نعم من حق الناس الخوف على الجهاد ممن أتاه وهو يراه لأمرٍ قريب وينتهي بالانتهاء منه، فهو بعد مدة سيبيع دماء الشهداء، وسيجالس الطواغيت، ويقبل أنصاف الحلول في الجمع بين النور والظلمات وبين الردّة والإسلام وبين الكفر والإيمان، فهؤلاء يجب الحذر منهم، ومثل هؤلاء يُعرَفون بالسوابق من أفعالهم، وكما قال الله عن أسلافهم: {وَلَتَعْرِفَنَّهُم فِي لَحْنِ الْقَوْلِ}.

ومما يستحق الرصد أن الدعوة للوحدة عند البعض تعني الدخول في طاعته، والالتزام بمذهبه، والامتثال لأمره، والالتقاء على جماعته، والا فالتفرّق يصبح قَدَرَاً مقبولاً، والمخالف شريرٌ يستحق الإبعاد والتعيير والسب.

والحق أن التفرّق على الحق خيرٌ من الوحدة على الباطل، والوضوح إن كان يُفَرّق الناس فهو خيرٌ من التستُّر والخفاء الذي مآله إلى الاقتتال الداخلي والحرب بين الإخوان وأصحاب الأمس. ليعرض الناس ما عندهم بوضوح، وليقل الناس مقالاتهم التي يعتقدونها، وليبتعدوا عن مبدأ التوريط الذي يمارسه أهل الشر والفساد، فإن قاعدة الوجود ما زالت تعمل عملها: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}.

وأقول بعض الأمور مما تجول في النفس من رصد بعض الظواهر:

لقد علمتم أن الجهاد قد قاده أناسٌ أحسنوا إليه، وأيدهم الله تعالى بتأييدٍ من عنده، وصبروا حين خذلتهم الجموع، وسَبّهم الجاهل والمبطل، ولَمّا صار الجهاد قَدَر هذه الأُمَّة ولحق به من ذَمَّهُ من قبل، جاء هؤلاء ليقولوا: "نحن أحقُّ بإمامة الجهاد منكم!" ليقول أصحاب السبق لهم: خذوه هنيئاً مريئاً، ولتهنكم منازلكم الجديدة التي ادعيتموها، لكن هل حقاً أنتم على مستوى هذه الأُمَّة وما يترتب عليها من بلاء؟

نذكركم بقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}، واعلموا أن أمر الجهاد اليوم له ما بعده، فإن أتيتموه وأنتم تظنون أن زهرته قد أينعت وجاء وقت قطافها فأنتم مخطؤون، فلقد صار هذا لأقوامٍ من قبلكم فذهبوا إلى حيث النسيان إن عاشوا وإلى الآخرة بالذم من الناس إن ماتوا، ولم يبقَ في الأرض إلا عمدها التي ثبتت وصبرت.

وللحديث بقية مع حبل الله تعالى.